

في نور محمد فاطمة الزهراء

لأنّها قامت بمحض الاختيار، وبلا إكراه ولا إجبار، على أساس تعاقد سليم، توافرت فيه شرائط صحّة العقود، من عرض وقبول وشهادة شهود. فإّ قد عرض، والبشر قد قبلوا العرض، ثم شهدوا على أنفسهم بقبول المعروض. وسُجّلت عليهم شهادتهم هذه حجّةً وثيقةً: (أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ سَأَلْتُمْ عَنْ هَذِهِ قَالُوا نَحْنُ * أَوْ تَقُولُوا إِنْ سَأَلْتُمْ أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) [689]. أو ليسوا بمبطلين؟ * * * لا ريب قد فسق رؤوس الكفر من قريش عن أمر ربّك، وباتوا في الغاوين ... نفصوا الميثاق، مزّقوا العقد الذي أبرموه، اختاروا لأنفسهم النكث، ثم أبوا إلّا أن يفرضوه على غيرهم، أو حاولوا أن يفرضوه. لكنّ الدعوة نشطت وأُنفهم في الرّغام [690]، قفزت من فوق أسوار الشرك لتنزل منازل مكيّة بقلوب أُناس اهدتوا من أهل القرى والأطراف، ما قرب منها أو نأى عن البلدة الحرام، وضعت قدميها على بداية طريق الانتشار. خطوة خطوة انطلقت في السير، رنوة رنوة [691] راحت تتطلّع إلى يثرب كملاذ آمن، وتتخذها في يوم آت نقطة للأُثوب [692]. لحظة لحظة، كانت فاطمة تتابع تقدّمها نحو غدا المظفّر الموعود، وكلاهما رجاء. دلّها قلبها على وشك تقلّص ظلال الهموم ... فالفرج قريب، والنصر قدر محتوم، والعقبى للمؤمنين.